

(خلودك في العمق لا في الغموض)

شتّانَ بينَ الغموضِ غيرِ المنتجِ والغموضِ المنتجِ

أو قُلْ شتّانَ بينَ الغموضِ والعمقِ

إذْ لا غموضَ يُمكنُ أنْ يُوصَفَ بالمنتجِ

إلا العمقَ لأنَّ له سطحاً

فلا عمقٌ بلا سطحٍ، ولا سطحٌ دارٍ لا يرتكزُ على بُعْدٍ عمودي

على دَوْرٍ أرضيٍّ بهِ كان السطحُ

وبالسطحِ كان العمقُ مِمَّا يُتَعَقَّلُ

فكلاهما متلازمان

لكنَّ الغموضَ شيءٌ آخَرُ غيرُ العمقِ

هو يَنشَأُ مِنَ التعقيدِ المعنويِّ بصورةٍ كبرى

ومِنَ التعقيدِ اللفظيِّ يَنشَأُ أيضاً

أو منهما معاً إذا اجتمعا في نَصٍّ أنتجَهُ غيرُ موهوب

(أو) هنا بحسبِ سياقٍ واقعيٍّ دالةٌ على الإضرابِ لا العطفِ

فاستهلاكُ التعقيدينِ طاهرٌ لدى كثيرينِ مِمَّنْ يظنُّونَ أنَّهم شعراء

مِمَّنْ لا تبرزُ نصوصُهم ولا تحيا بذاتِها

إلا بقراءاتٍ تُروَّجُها، وبمجاملةٍ بينيَّةٍ تدعمُها

بإطراءٍ يُنعشُها بعضَ الوقت

بيدَ أنَّ بعضَ الوقتِ لا يجعلُها نصوصاً خالدةً هيهات

لا يُغيِّرُ طبائعَ الناسِ أبداً

أرأيتَ غموضاً تتداولُهُ ألسنةُ الناسِ

تتفاعلُ معه قلوبُهم

تستشهدُ به في مواقفِ الحياة

لا يمكنُ ذلكَ لا يمكنُ

سوى النصِّ العميقِ الذي لهُ ظهورٌ عامٌ مُشرِّق

هو مِمَّا يتفاعلُ كُلُّ الناسِ معه كُلِّسَّهم

مثلاً تفاعلَ معهُ شيخُ المعرَّةِ فأخرجَ لنا شرحاً سَمَّاهُ معجزةَ أحمد

ومعهُ تفاعلَ صيَّادٍ سمكٍ صبرَ فلمْ يُحالفهُ الحظ

تنهَّدَ فقال ما كُلُّ ما يتمنَّى المرءُ يُدرِكُهُ

وعليكَ أن تُردِّدَ مع الصيِّدِ الخائبِ بيتَ أبي مُحَسَّدٍ

فلغةٌ ديوانِكَ أرقى مِن لغةِ عصرِكَ قطعاً

ولذلكَ لا تتوقَّعْ أنْ ديوانَكَ ينتقلُ بينَ العذارى

ولا تتوقَّعْ أنْ طبعتهُ الأولى نفدت

هي جالسةٌ على صدرِكَ مثلما تجلسُ على رفِّ مكتبةِ بيعٍ أودعتَها عندها

هذا جنى غموضِكَ البعيدِ عن التناول

لكنَّ جنى الجنتينِ دان

جنةُ الإمتاعِ الفوريِّ الذي هو في متناول الأيادي كُلِّها

جنةُ العمقِ الذي يجعلُ متناوليه في سهرٍ وخصام

فلا مانعةٌ جمعٍ بينَ العمقِ وبينَ الإمتاعِ الفوريِّ العام

إلا عندكَ إنْ بقيتَ على ما عندكَ

على اقترافِ غموضٍ مفرفٍ ضحلٍ مردول

يدفنُكَ وأنتَ حيٌّ تُرزَقُ

ويدفنُ ديوانَكَ قبلَكَ قبلَكَ

ولذلكَ عليكَ أن تستيفَ مِن غفلتِكَ

مِنْ تَنوِيمَةٍ نَقَدِ لَمَّ سَعَتْ لَكَ غَمُوضًا فَقِيرًا ضَحَلًا

غَمُوضًا تَتَسَرَّرُ بِهِ نَصُوصٌ لَا شِعْرِيَّةَ لَهَا وَلَا رَائِحَةَ شِعْرِيَّةَ

نَصُوصٌ مَيِّتَةٌ يُحْيِيهَا إِنْ عَاشَ مُجَاسِلٌ بَعْضَ الْوَقْتِ

ثُمَّ تَنَامُ نَوْمَةً الْأَبَدِ فِي لَحْدِ النِّسْيَانِ

هِيَ لَا اسْتَيْقَظَ هِيَ لَا تَتَلَذَّسُ ذُ الْغَفْلَةِ

نَصُوصُكَ مَعْلُولَةٌ نَسْيَانٍ كَانَتْ

مَذْكَانَتْ غَفَلْتُكَ الْعِلَاسَةِ .